المرجعية الدينية وأثرها في مجريات أحداث ثورة العراق الكبرى ١٩٢٠ -كربلاء إنموذجاً-

أ. م. د. موفق كامل خلف المحمدي
التدريسي في كلية الآداب - جامعة الانبار
mwafaqma@gmail.com

الخلاصة:

تُعد مدينة كربلاء محوراً أساسياً في ادامة زخم الاعتدال، ونشر قيم التسامح وتوجيه المجتمع وبث روح الجماعة بين مختلف طبقات الشعب العراقي. ومن هنا أصبحت مركز القيادة الوطنية لأقطاب الثورة العراقية الكبرى (ثورة العشرين ١٩٢٠م)؛ لمكانتها الدينية والروحية في قلوب الناس، هذا بالإضافة الى الدور الكبير الذي قام به المرجع الديني (محمد تقي الشيرازي) في توجيه الثوار ورسم مسارات الثورة والحث على الانخراط في صفوفها والمساهمة في تعبئتها ورفع معنويات أبطالها.

لقد اندلعت شرارة الثورة الأولى من كربلاء من خلال الفتوى الدينية التاريخية التي أطلقها الامام الشيرازي في ٢٣/ ١/ ١٩١٩م، الموافق ذي القعدة ١٣٣٧هـ، والتي حرم فيها على المسلمين أن يختاروا حاكماً غير مسلم لحكم البلاد بالاستفتاء الذي أجرته حكومة الاحتلال البريطاني بعد احتلالها العراق ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ ونصها: «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين مطلقاً». وقد وقع على هذه الفتوى (١٧) من كبار علماء ووجهاء وأشراف كربلاء وقتذاك، وبذلك أصبحت كربلاء منبع الثورة والحاضنة

لها، ومحط أنظار الثوار وقبلتهم في عموم العراق.

وتمحورت الدراسة حول الدور الأساسي الذي اضطلعت به مدينة كربلاء ممثلتاً بالمرجعية الدينية ودورها في ثورة العشرين ١٩٢٠ واسهاماتها فيها ونشرها في مختلف مدن العراق عامة.

Abstract:

The city of Karbala was، and still is، an essential axis in perpetuating the momentum of moderation، spreading the values of tolerance، guiding society، and spreading the spirit of community among the various classes of the Iraqi people. Hence، it was the center of the national leadership of the poles of the Great Iraqi Revolution (1920 Revolution); because of its religious and spiritual status in people's hearts، in addition to the great role played by the religious authority (Muhammad Taqi al-Shirazi) in guiding the revolutionarists، charting the revolution's paths، urging people to join it، contributing to its mobilization and raising the morale of its heroes. The spark of the first revolution was started in Karbala by Imam Al-Shirazi's historical religious fatwa on January 23، 1919، in which it was forbidden for Muslims to choose a non-Muslim ruler to rule the country through a referendum conducted by the British occupation government after its occupation of Iraq. It said: " It is forbidden for Muslims to elect and choose a non-Muslim for the emirate and the sultanate over Muslims. " This fatwa was signed by (17) senior scholars and dignitaries of Karbala، and thus Karbala became the source and incubator of the revolution، and the focus of the revolutionarists' all over Iraq. The study focuses on the main role played by Karbala represented by the religious authority and its role in the 1920 revolution، its contributions and spread it in various cities of Iraq in general. The study is divided into three main themes: The first one: the city of Karbala and its religious، spiritual and political status in Iraq. The second one: the preambles of the revolution and its spread in all cities of Iraq. The third one: the role of the religious authority in Karbala in the events of the 1920 Revolution. Then the conclusion، and a list of sources and references.

المقدمة:

إنّ المطّلع على تاريخ العراق السياسي لا يجد أي شك في أن المؤسسة الدينية هي الأساس في تحريك وتوجيه المناخ السياسي بالشكل الذي يحقق الإصلاح والاعتدال في مسيرة المجتمع، وهذا ما سنتتبعه في هذه الدراسة من خلال دور هذه المؤسسة مع نهايات الحكم العثماني وبدايات الاحتلال البريطاني للعراق برسم وتوجيه كافة طبقات الشعب وتوحيدها خلال أحداث ثورة العشرين ١٩٢٠م.

ظهرت أولى بدايات الوعي السياسي للمؤسسة الدينية في العراق منذ نهاية القرن التاسع عشر؛ حيث كان هناك سبباً أساسياً لهذا الوعي ممثلاً بالفتوى التي أصدرها المرجع الديني السيد محمد تقي الشيرازي(قدس)[١] في مدينة سامراء وذلك بتحريمه امتياز التبغ في ايران عام ١٨٩١م، والتي مثلت تياراً عكسياً جاء بالضد من توجهات ومطامح المحتلين البريطانيين حينذاك[٢].

---

(١) محمد تقي الشيرازي: زعيم ثورة العراق الكبرى ١٩٢٠، وقائدها ومن أكابر العلماء والمجتهدين والمحدثين في عصره، هو الشيخ محمد تقي بن الميرزا محمد علي بن أبي الحسن الميرزا محمد علي الحائري الشيرازي، ولد في شيراز في ايران سنة ١٢٥٦هـ ونشأ بها، ثم انتقل الى كربلاء سنة ١٢٧١هـ وأكمل دراسته فيها، ثم انتقل الى سامراء ثم الى الكاظمية، ثم عاد الى كربلاء بعد أن احتلت بريطانيا كامل أرض العراق سنة ١٩١٨، أصبح المرجع الأعلى للشيعة بعد وفاة السيد كاظم اليزدي في ٣/ ٤/ ١٩١٩، توفي خلال أحداث ثورة العشرين في ١٠/ ٨آب/ ١٩٢٠. له الكثير من المؤلفات والفتاوى وخلف ثلاثة من الأبناء. للمزيد انظر: الجبوري، كامل سلمان: محمد تقي الشيرازي القائد الأعلى للثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، ط١، دار منشورات ذوي القربى، كربلاء، ٢٠٠٠، ص ١٣-١٨.

(٢) صاغية، حازم: صراع الإسلام والبترول في ايران، ط ١، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٨، ص ٨٥-٨٦.

لقد بدأت نوايا بريطانيا الاستعمارية باحتلال العراق تظهر تبعاً لتنوع مصالحها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية في المنطقة-وتنفيذاً لهذه الخطة عملت بريطانيا على تسيير حملتها العسكرية من البحرين الى العراق ونزلت في مدينة الفاو في ١/ ١١/ ١٩١٤م- فرد العثمانيون على ذلك بالعمل على التعبئة العامة لمقاومة الاحتلال البريطاني؛ فأصدر شيخ الاسلام في الاستانبول خيري أفندي فتوى الجهاد ضد البريطانيين يوم ٧/ ١١/ ١٩١٤م، وكرر فتواه مرة اخرى في يوم ١١/ ١١/ ١٩١٤م، ونُشرت الفتوى في بيان موقع عليه من ثلاثين عالم في ٢٣/ ١١/ ١٩١٤م، إلا إنّ هذه الفتوى لم تلق أي تجاوب من المسلمين وكان أثرها بينهم ضعيفاً جداً[١]. وفيما يتعلق بعلماء المسلمين وبمبادرة منهم أو استجابةً لفتوى شيخ الإسلام أصدروا فتاوى مماثلة تدعو إلى الجهاد ومقاومة الاحتلال الإنكليزي، وتأييد العثمانيين في الحرب على الرغم من أنّهم كانوا على يقين أنّ العثمانيين لا يمثلون وجه الإسلام الحقيقي؛ إلا إنّ شرهم أهون من خطر الإنكليز الكفار[٢]، فقاموا بتعبئة سكان المدن والعشائر وحثهم على الجهاد وتنظيم تطوع المجاهدين وقيادتهم الى جبهات الحرب[٣].

---

(١) شبرّ، حسن: تاريخ العراق السياسي المعاصر، ج٢، بيروت، دار المنتدى للنشر، ١٩٩٠، ص ١٥٥.

(٢) الرهيمي، عبد الحليم: تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ١٩٠٠-١٩٢٤، ط١، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٦٣.

(٣) الرهيمي، عبد الحليم: تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ١٩٠٠-١٩٢٤، المصدر السابق، ص ١٦٤.

ومهما يكن من الأمر فان نتائج حركة الجهاد التي أطلقها العلماء ورجال الدين في العراق ضد البريطانيين قد جاءت على غير أهدافها، بعد الخسائر الكبيرة التي تكبدها العثمانيون ومجاميع المجاهدين، وخاصة بعد انتحار قائد الجيش العثماني سليمان عسكري، وانسحاب المجاهدين والجيش العثماني التدريجي الى مدينة الناصرية ومن ثم الى مناطقهم الأصلية بعد توقف الأعمال العسكرية في جبهات البصرة في ١٤/ ٨/ ١٩١٥م[١].

ولقد تواصل الاحتلال البريطاني للمدن العراقية، واحتلوا مدينة بغداد مركز السلطة العثمانية في ١١/ ٣/ ١٩١٧م، فكان هذا التاريخ هو الحد الفاصل بين العهدين العثماني والبريطاني في العراق[٢]. ومن هنا بدأت حقيقة جديدة من السياسة البريطانية الغازية تجاه العراق، والتي اتسمت بالتردد في علاقاتها وتوجهاتها لتحديد مصير العراق ومستقبله من خلال اطلاق الوعود المستمرة للعراقيين التي لم تطبق أيّاً منها، واستمر الحال حتى عُقد مؤتمر سان ريمو في ٢٥/ ٤/ ١٩٢٠م[٣]، والذي

(١) الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، قم، اصدارات الشريف الرضي، ١٤١٣هـ، ج ٥، القسم الأول، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) الحسني. عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى، بيروت، ١٩٧٨، ط٤، ص ٥٥.

(٣) تم توقيع معاهدة سان ريمو في عام ١٩٢٠، والتي حددت مناطق النفوذ البريطانية والفرنسية في المشرق العربي. وكنتيجة لموقف إنكلترا وفرنسا من مقررات المؤتمر السوري العام المنعقد في ١٩٢٠م؛ فقد انعقد المجلس الأعلى للحلفاء، والذي يعتبر امتداداً لمؤتمر لندن المنعقد في فبراير ١٩٢٠ في مدينة سان ريمو الإيطالية، في المدة ما بين التاسع عشر والخامس والعشرين من أبريل ١٩٢٠ للبحث في شروط الحلفاء للصلح مع تركيا طبقاً لمعاهدة سيفر، والمصادقة عليها بعد إعلان استقلال سورية ومناداتها بالأمير فيصل ملكاً عليها في المؤتمر السوري العام في الثامن من آذار/ مارس ١٩٢٠م.

توج بإعلان الانتداب بريطاني رسمياً على العراق واعتباره أساساً لسياستها فيه[١].

لقد تمحورت الدراسة حول الدور الأساسي الذي اضطلعت به مدينة كربلاء ممثلةً بالمرجعية الدينية واسهاماتها في ثورة العشرين ١٩٢٠م ودورها في نشرها في مختلف مدن العراق عامة. وقسمت الى ثلاث محاور أساسية وهي:

المحور الأول: مدينة كربلاء ومكانتها الدينية والروحية والسياسية في العراق.

المحور الثاني: مقدمات الثورة وانتشارها في كل مدن العراق.

المحور الثالث: دور المرجعية الدينية في كربلاء في أحداث ثورة العشرين.

ثم الخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

(١) الحسني. عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

المحور الأول: مدينة كربلاء ومكانتها الدينية والروحية والسياسية في العراق.

لم تكن كربلاء، في وسط العراق، مدينة تستحق الذكر قبل الفتح الإسلامي، ولم يرد ذكرها في كتب التاريخ إلا نادراً؛ بل كانت قرية بسيطة تحتوي مزارع وضياع لدهاقين الفرس، وكانت قليلة العمران إلا من بعض القرى المتناثرة في أطرافها[١]، وبوصول الإمام الحسين بن علي عليه السلام إليها يوم الخميس الثاني من محرم سنة ٦١هـ، وبعد العاشر من محرم سنة ٦١هـ وواقعة الطف المؤلمة التي نتج عنها استشهاد الحسين بن علي وأخيه العباس عليهم السلام ودفنهم في كربلاء، وهكذا ذاع صيت المدينة في الآفاق، وأخذت أهميتها ومكانتها الدينية والتاريخية والسياسية من هذه الحادثة ووجود مراقد الأئمة الاطهار فيها[٢].

وفي بدايات القرن التاسع عشر دخلت المؤسسة الدينية في كربلاء حقبة جديدة وهامة من تطورها السياسي والفكري الذي امتد لعقود من الزمن حيث كانت المواجهات المسلحة هي السمة البارزة لها، والتي على إثرها تم طرد الإدارة العثمانية من المدينة في أيار ١٩١٧م حيث أقام زعماؤها المحليون إدارة ذاتية لتسيير شؤونها، فكانت أشبه بحكومة مؤقتة، وخلال تلك السنتين الأخيرتين التي تمتعت بهما المدينة بوضع مستقل عن الإدارتين العثمانية والإنكليزية أقام علماؤها ورجال الدين فيها صلات وثيقة مع معظم أنحاء العراق والعالم الخارجي ولاسيما زعماء ورؤساء

---

(١) الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٦، بيروت، ١٩٥٦، ص١٧١.

(٢). الموسوي، مصطفى عباس: العوامل التاريخية في نشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٢، ص١٧٥.

الفرات الأوسط[١]. وقد كانت تلك التجربة بمثابة مقدمة لثورتين كبيرتين هما ثورة النجف[٢] عام ١٩١٨م، وثورة العشرين عام ١٩٢٠م غير إنّ المواجهات السابقة تميزت عنهما في كونها نمت في إطار حركة الجهاد الذي أعلنته الدولة العثمانية وفتاوى المرجعية وما حملته بسبب ذلك من دلالات فكرية وسياسية[٣].

لقد انطلقت حركة الجهاد في ٢٩/ ١١/ ١٩١٤م، أي بعد أيام من احتلال الفاو وذلك عندما أرسل العديد من الأعيان والعلماء في البصرة برقيات الى كبار رجال الدين في كربلاء والنجف والكاظمية يطلبون فيها مساندتهم في محاربة القوات البريطانية وقد جاء نص البرقيات: ثغر البصرة يحيط به الكفار، الجميع تحت السلاح، نخشى على بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر في الدفاع[٤].

لقد شكلت مقاومة الاحتلال الأجنبي عاملاً أساسياً في المتغيرات التي كانت تجري في السياسة البريطانية، وفي افشال وعرقلة المشاريع التي طُرحت لتحديد مستقبل العراق، هذه المقاومة التي اتخذت أشكالاً متعددة من المعارضة السياسية

---

(١) النفيسي، عبد الله: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، ترجمة دار النهار، بيروت، ١٩٧٣، ص١٣٠-١٦٠.

(٢) ثورة النجف حدثت في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٣٦هـ الموافق ١٩ مارس ١٩١٨م، وهي ثورة شعبية وتحرك مسلح قام به سكان مدينة النجف العراقية ضد المحتلين البريطانيين، وتعد أول ثورة عراقية ضد الاحتلال البريطاني للعراق، وثاني ثورة مفتوحة ضد الحركات الاستعمارية التي حصلت بعد إنتهاء حكم الدولة العثمانية في الشرق الأوسط بعد الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦م. للمزيد انظر: (التميمي، حيدر قاسم مطر: قراءات تاريخية معاصرة في مجريات ثورة النجف ونتائجها (ندوة)، مؤسسة بيت الحكمة، بغداد، ٢٥ أبريل ٢٠١٨م).

(٣) الرهيمي، عبد الحليم: تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ١٩٠٠-١٩٢٤، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٥.

(٤) الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٧.

الى المواجهة المسلحة، والتي شملت خلال السنوات ١٩١٧_١٩٢٠م معظم مناطق العراق، إلا إن أهميتها قد اختلفت تبعاً للأهداف والظروف التي كانت تحيطها، وتبعاً لاتساع انتشارها وفعاليتها، ففي خضم تلك المدة نشأت في أغلب مناطق العراق حركات سياسية وعسكرية معارضة ومقاومة للاحتلال، غير إنّ التشكيل العملي لهذه المقاومة لم يبدأ إلا بعد احتلال بغداد وتحديداً بين الأعوام ١٩١٧ و ١٩١٨م؛ حيث حصلت في تلك الفترة مواجهات عسكرية وسياسية قوية مع سلطات الاحتلال، كان أهمها ثورة النجف خلال شهري مارس وأبريل ١٩١٨م، والموجهات التي حصلت خلال الاستفتاء[١] الذي أجراه الاحتلال البريطاني أواخر ١٩١٨م وأوائل ١٩١٩م، ومن ثم توجت بانطلاق ثورة العشرين في ٣٠/ يونيو/ ١٩٢٠م.

وكان المجاهدون والثوار الوطنيين في النجف غير قادرين على ممارسة نشاطهم فيها بشكل ملائم؛ بسبب معارضة مراجع النجف حنذاك للعمل السياسي، إذ كانوا يرفضون تدخل الدين بالسياسة، وهو ما أجبر الوطنيين في النجف ومدن الفرات الأوسط الى نقل نشاطهم الى كربلاء، وتنصيب زعيماً دينياً لهم بمستوى مرجع ديني، ليُوحد صفوفهم، وليكن حلقة الوصل بينهم وبين الوطنيين في بغداد والنجف وسائر مدن العراق؛ فاستقر رأيهم على الشيخ محمد تقي الشيرازي(قدس)؛ فطلبوا منه العودة من سامراء الى كربلاء، وتم تنصيبه مرجعاً دينياً أعلى لقيادة النضال

---

(١) أعلنت حكومة الاحتلال البريطاني برئاسة السير أرنولد ولسن نائب الحاكم الملكي في العراق عن اجراءها استفتاء شعبي لاستطلاع آراء الشعب العراقي حول كيفية الحكم التي يفضلونها. وقد أجرت الاستفتاء في ٣٠/ ١١/ ١٩١٨. وكان هذا الاستفتاء السبب الرئيس لفتوى الشيخ الشيرازي بعدم اختيار حاكم غير مسلم. للمزيد انظر: (الجبوري، كامل سلمان: محمد تقي الشيرازي القائد الأعلى للثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨-٨٩).

السياسي ضد الاحتلال البريطاني[١]. وكان اختيار مدينة كربلاء يعود لأسباب من أهمها:

١. التأثير العاطفي الديني والتراثي الذي تتمتع به كربلاء على عشائر وسط العراق وجنوبه وهو ما جعل منها قاعدة للنشاط السياسي الوطني.
٢. تقبل أهالي كربلاء للنشاط السياسي الوطني لأنهم كانوا على دراية ومعرفة به.
٣. مكان المدينة بالوسط بين بغداد والنجف، وبالتالي إمكانية التعاون بين سياسيي تلك المدن[٢].

وخلال تلك الأحداث كانت مدينة كربلاء تمثل محوراً لأقطاب ومواقع وجبهات الثورة العراقية الكبرى (ثورة العشرين) ومركزاً لقيادتها الوطنية، فقد كان لمكانتها الدينية والروحية في قلوب الناس أكبر الأثر في تسنّمها الدور القيادي لهذه الثورة، كما كان الدور الذي قام به المرجع الديني الكبير الميرزا[٣] محمد تقي الشيرازي (قدس) واضحاً ومؤثراً في توجيه الثوار ورسم مسارات الثورة وتعبئتها ورفع معنوياتها.

---

(١) عبد الزهرة، عدي حاتم: النجف الاشرف وحركة التيار الإصلاحي، بيروت، ٢٠٠٥، ص٢٧٠-٢٧١.

(٢) عبد الزهرة، عدي حاتم: النجف الاشرف وحركة التيار الإصلاحي، مصدر سبق ذكره، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٣) الميرزا: لقب فارسي يُطلق على الشخص الذي يولد من أم علوية، وقديمًا كان يُطلق على أبناء الملوك، للمزيد انظر: (التونجي، محمد: المعجم الذهبي، مصدر سبق ذكره، ص٥٥٣).

المحور الثاني: مقدمات الثورة وانتشارها في كل مدن العراق.

كانت كربلاء في مقدمة المدن العراقية التي استجابت لحركة الجهاد التي قادها العلماء الأعلام، حيث تم عقد اجتماعاً كبيراً عُقد في الحضرة الحسينية الشريفة خلال زيارة النصف من شعبان، وحضره مئات الآلاف من مختلف طوائف العراق، فضلاً عن كبار رجال الدين وفي مقدمتهم السيد اسماعيل الصدر[١] الذي سار بالحاضرين الى صحن الإمام الحسين(ع)[٢]، وهناك ألقى أحد الشعراء الكربلائيين وهو محمد حسن أبو المحاسن[٣] قصيدته الحماسية التي ألهبت الشعور الوطني وعمقت الترابط الوثيق والوحدة بين أبناء الوطن قال فيها[٤]:

قوموا بواجب دينكم إن القيام لكم قد وجب
إن تنصروا دين الهدى فالنصر فيكم والغلب

(١) السيد اسماعيل بن السيد صدر الدين العاملي الأصفهاني: واحد من كبار مراجع التقليد في كربلاء، ولد عام ١٨٣١ في أصفهان، ونشأ فيها، ودرس علوم الفقه على شيخه محمد باقر الاصفهاني، ثم هاجر الى النجف عام ١٨٤٤، ودرس على يد الشيخ راضي بن محمد آل خضر الجناجي، ثم هاجر الى سامراء، ثم هاجر الى كربلاء، وتوفي في مدينة الكاظمية ١٩٢٠. للمزيد انظر (جبار، آلاء عبد الكاظم: موقف الفئة المثقفة في حركة كربلاء من التطورات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢، كربلاء، ٢٠٠٨، ص٩٧).

(٢) كبة، محمد مهدي: مذكراتي في صميم الأحداث ١٩١٨- ١٩٥٨، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٥، ص ٤٩-٥٠.

(٣) هو الحاج محمد حسن بن حمادي بن محسن ابو المحاسن الجناجي الكربلائي ولد عام ١٨٧٥، ويعد من أشهر شعراء مدينة كربلاء، توفي عام ١٩٢٦، ومن أولاده كامل ومحمد حسين وفاضل وعبد الرزاق ومحمد شريف. للمزيد انظر: (ال طعمة، سلمان هادي: تراث كربلاء، بيروت، ١٩٨٣، ص١٩٩).

(٤) الزبيدي، محمد حسين: مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٩، ص ١٩٨-٢٠٠.

إنـــي نذيـر الإنكليـــز فيومهـــم مـــنا اقـــترب
الشـعب يهتـف بالعـرب أيـن الحـماة أُولي الحسـب
أيـن الأولى بسـيوفهم تطغـى الوغـى وبهـا تثـب
خاضـوا الحمائـم كأن في خـوض الحمائـم لهـم إرب[١]

وكان مقتل الحاكم الإنكليزي في النجف في ١٩/ ٣/ ١٩١٨م يمثل نقطة بداية الصدام المسلح بين الأهالي في النجف وقوات الاحتلال التي ردت بأوامر من الجنرال مارشال قائد القوات البريطانية بحصار المدينة وعدم فك الحصار عنها؛ إلا بعد الموافقة على تنفيذ الشروط القاسية التي تمثلت بتسليم قادة الثورة، وتسليم أسلحة الثوار، ودفع غرامة ١٥٠ ألف ليرة، ونفي الأسرى الى الهند، وفعلاً تم إعدام الكثير من قادة الثورة؛ بينما تم تخفيف الحكم عن الشيخ جواد الجزائري والسيد محمد بحر العلوم من الإعدام إلى النفي خارج العراق بعد أن توسط لهما السيد محمد تقي الشيرازي وشيخ المحمرة الأمير خزعل[٢].

وكان الوضع في مدينة النجف متوتراً ومشحوناً ويشهد تحركات معادية للإنكليز، الذين صعدوا من عملية التحرش عن طريق تعيين أحد عملائهم حاكماً على المدينة هو محمد خان بهادر، بالإضافة الى تحريض بعض الموالين لهم، على دخول المدينة وافتعال المشاكل مع أهلها[٣]، وكما أرسل الاحتلال سنة ١٩١٨م وحدة عسكرية إلى الكوفة المجاورة للنجف وهو الأمر الذي مثل عملاً استفزازياً

(١) جبار، آلاء عبد الكاظم: موقف الفئة المثقفة في حركة كربلاء من التطورات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢، مصدر سبق ذكره، ص٩٧-٩٨.

(٢) العمر، فاروق صالح: الأحزاب السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٣٢، بغداد، ١٩٧٨، ص ٣٧.

(٣) الجبوري، كامل سلمان: محمد تقي الشيرازي القائد الأعلى للثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، مصدر سبق ذكره، ص ١٤-١٥.

لمشاعر أهالي النجف الأشرف والشعب العراقي عامة، وهنا بدأ يتوضح موقف زعماء المؤسسة الدينية في كربلاء والنجف وعموم العراق، والذي اتسم بالتباين من حيث الأهمية والتأثير؛ فقد التزم السيد كاظم اليزدي[١] موقف الصمت والعزلة، الأمر الذي دفع سلطات الاحتلال الى استغلال هذا الموقف عبر زيارة السير برسي كوكس[٢] الى داره في الكوفة، في حين إنّ السيد محمد تقي الشيرازي المقيم في سامراء وفتح الله الأصفهاني المقيم في النجف لم يتخذوا مواقف علنية بهذا الخصوص، إلا إنّهما تمتعا بدور كبير في إقامة العلاقات مع العديد من رجال الدين في النجف وكربلاء الذين يقومون بتحريض الأهالي ضد الاحتلال، أما موقف الأهالي فقد تمثل بأنه كان رهن إشارة المرجعية في المؤسسة الدينية والزعامات المحلية ويتجه نحو المواجهة، التي باتت شبه حتمية، والتي تباينت أيضاً بحسب الظروف ما بين السلمية والعنيفة[٣].

---

(١) السيد محمد كاظم اليزدي: المرجع الديني الأعلى في النجف، ولد في مدينة يزد في ايران عام ١٨٢٠م، وقرأ مقدماته العلمية فيها، ثم هاجر إلى أصفهان لإكمال تحصيله العلمي، ومنها هاجر إلى النجف عام ١٨٦٤م، ودرس فيها على شيخه السيد (محمد حسن الشيرازي) حتى حصوله على درجة الاجتهاد، ثم ما لبث أن نال شهرة واسعة، وعقدت له الزعامة الدينية في أواخر حياته، توفي في النجف، ومن أشهر مؤلفاته كتابه (العروة الوثقى). للمزيد انظر: (الدجيلي، جعفر: موسوعة النجف الاشرف، المراجع، ج١١، بيروت، دار الأضواء، ١٩٩٨، ص١٩٢.

(٢) السير برسي كوكس: سياسي وعسكري بريطاني وقائد الحملة العسكرية البريطانية على العراق سنة ١٩١٤م بقيادة، تم تعيينه حاماً عاماً على العراق بعد احتلال بغداد، ثم تم تعيينه سفيراً لبريطانيا في طهران. للمزيد انظر: (قزانجي، فؤاد: العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥ - ١٩٣٠، بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٤).

(٣) الشريفي، احمد باقر علوان: كربلاء بين الحربين العالميتين ١٩١٨-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠٤، ص ٣٣.

ونتيجة لتلك الأحداث فقد بقي الدور القيادي للثورة في يد المؤسسة الدينية بكافة رموزها واضحاً وجلياً في كل خطوة سياسية يتبناها العراق في تاريخه، وهو ما ظهر واضحاً في استفتاء ٣٠/ ١١/ ١٩١٨م، والذي تضمن الاجابة على ثلاث أسئلة وجهتها سلطات الاحتلال البريطاني الى أبناء الشعب العراقي وهي[١]:

١. هل ترغبون بحكومة عربية مستقلة تحت الوصاية الانكليزية؟.
٢. هل ترغبون في أن يترأس هذه الحكومة أمير عربي؟.
٣. من يكون الأمير الذي تختارونه؟.

فقد جاءت خطوة الإستفتاء هذه بعد أن أكملت القوات البريطانية احتلال العراق وإنتهاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م)، وكان الهدف منه تحديد مصير الولايات العربية المنسلخة من جسم الدولة العثمانية[٢].

وعلى الرغم من أن الإستفتاء قد شابه الكثير من عدم الموضوعية؛ إلا إنّ تمريره في كربلاء والنجف والكاظمية لم يكن بالأمر السهل اطلاقاً؛ ولهذا فإنّ نتائجه لم تكن تحقق رغبة وطموح الإنكليز[٣]. ففي مدينة كربلاء لم تكن نتيجة الاستفتاء مرضية لسلطات الاحتلال البريطاني، وعُدّ نكسةً وصدمةً شديدةً واجهت الإدارة البريطانية، والسبب في ذلك؛ هو إنّ الحركة الإسلامية في كربلاء كانت قوية جداً في المدة التي سبقت الاستفتاء.

وبإلحاح من حاكم المدينة الميجر تايلر، الذي وجه دعوة الى كل الزعامات السياسية

---

(١) العكام، عبد الأمير هادي: الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ - ١٩٣٣، النجف، مطبعة الآداب، ١٩٧٥، ص ١٠١.

(٢) الحسني، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤.

(٣) النفيسي، عبد الله: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧.

والدينية في المدينة لإبداء رأيهم بالاستفتاء ونتائجه؛ إلا إنّ الحاضرين طلبوا منه مدة ثلاثة أيام للرد عليه بحجة أنّهم لا يمثلون عامة الناس، ثم عقدوا اجتماعاً في منزل المرجع الشيرازي للتشاور حول الاستفتاء، فما كان منه إلا أن أصدر فتواه الشهيرة التي نصت: «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب أو يختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين»[١]. وهكذا -وبفتوى الشيخ الشيرازي التاريخية التي أصدرها بتاريخ ٢٣/ ١/ ١٩١٩ ووقع عليها (١٧) من كبار علماء ووجهاء وأشراف كربلاء-اندلعت شرارة الثورة الأولى، وبذلك أصبحت كربلاء مهداً للثورة وحاضنة لها ومحط أنظار الثوار في عموم العراق.

وكان هدف بريطانيا من الاستفتاء هو اجبار العراقيين على انتخاب السير برسي كوكس المندوب السامي البريطاني ليكون رئيساً للحكومة، ولكن فتوى الشيخ الشيرازي كانت بمثابة الرفض القاطع لرغبة الاحتلال، والإعلان الحاسم بوجوب الجهاد المسلح ضده وضد مخططاته بالاستفتاء الصوري لاستطلاع آراء الشعب العراقي حول مستقبل بلاده، والتي خرجت للتو من السيطرة العثمانية، فانطلقت الفتوى من كربلاء لتُعبر عن رغبة الشعب بكل طبقاته وطوائفه في التحرر والاستقلال، ولتمثل موقف قيادة العراق العليا ممثلة بالشيخ محمد تقي الشيرازي[٢].

وكما قام الشيخ بإرسال رسالة الى كل العلماء الأعلام استنهض فيها هممهم قال فيها: «بلغوا حجج الإسلام، القرآن والمواعظ تلوناها، وبرقياتكم الى العشائر نشرناها، فلا ينفع ذلك إلا الإقدام بأنفسكم، الأقوال بلا أفعال تذبح الإسلام ولا نعلم إن الجهاد واجب على العامي ولا يجب عليكم، المعلوم قدومكم يهيج

(١) الحسني، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨.

(٢) النفيسي، عبد الله: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

الإسلام، فالله الله في حفظنا»[١]. وما إن انتشرت هذه البرقية في الحوزات العلمية في النجف وكربلاء حتى استجاب لها على الفور كل المراجع وأوجبوا على ضرورة الجهاد دفاعاً عن الإسلام والبلاد، وبذلك اتخذت مدن العراق في الفرات الأوسط وبغداد طابع النفير العام وأصبحت كربلاء والنجف وبغداد آنذاك مراكز أساسية لتجمع وانطلاق المجاهدين منها إلى جبهات الحرب[٢]. وأما مدينة الكاظمية فقد كان لها الموقف المشرف في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، إذ برز فيها العالمان المجتهدان السيد مهدي الحيدري[٣] والشيخ محمد مهدي الخالصي[٤] الذين قادا الدعوة للجهاد وأشرفا على تطوع المجاهدين، وأرسلوا برقيات الى النجف

(١) الشريفي، احمد باقر علوان: كربلاء بين الحربين العالميتين ١٩١٨-١٩٣٩، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

(٢) الشريفي، احمد باقر علوان: كربلاء بين الحربين العالميتين ١٩١٨-١٩٣٩، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

(٣) السيد مهدي بن أحمد بن حيدر بن إبراهيم بن محمد المعروف بالعطار، وينتهي نسبه إلى السيد عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. ولد السيد الحيدري عام ١٢٥٠هـ، بمدينة الكاظمية المقدّسة في العراق، وتلقى في الكاظمية المقدسة دروسه الأُولى، حتّى نال حظًا وافرًا من العلم والفضل، ولمّا فرغ من مرحلة السطوح اشتاقت نفسه إلى المزيد، فسافر إلى مدينة النجف الأشرف، ودرس عند كبار علمائها، توفي السيد الحيدري (قدس سره) في العاشر من المحرم ١٣٣٦ هـ، ودفن بمقبرة الأسرة الحيدرية الخاصة في مدينة الكاظمية.

(٤) محمد مهدي الخالصي: ولد في مدينة الكاظمية ونشأ فيها، ودرس العلوم الحوزوية في مدينة النجف، ثم عاد الى الكاظمية وأكمل فيها دراسته حتى أصبح من رجال الدين البارزين، وكان الذراع الأقوى والمفوض المعتمد للشيخ محمد تقي الشيرازي، والذي كان يوكل إليه ويستشيره في القضايا الدينية والسياسية فأصبح محرك فاعل في ثورة العشرين ومساندة أهالي كربلاء. للمزيد انظر: (حرز الديم، محمد: معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، ج٣، قم، مطبعة الولاية، ١٩٨٤، ص١٤٧-١٥٠.

وكربلاء وسامراء تعبر عن رغبتهم في عقد اجتماع طارئ لبحث أمر الاحتلال البريطاني، ومساهمتهم الفعالة في حث الناس على الجهاد من خلال المنبر الكاظمي الشريف[١]. ومما قاله الشيخ الشيرازي للسيد الخالصي: إنيّ قد فديت استقلال العراق بولدي ومن عز عليَّ، وأنا مستعد بأن أفديه بنفسي وهي قصارى ما أملك، أما أنتم فإن أصر الإنكليز على غصبكم حقكم وقابلوا التماسكم بالحرب؛ فيجب عليكم الدفاع بكل قواكم، ويحرم الرضوخ والاستسلام لهم»[٢].

إنّ هذه الصرخة الجهادية لم تنطلق من كربلاء أو النجف باعتبارهما مركزاً للمؤسسة الدينية بل إنّها كانت صرخة واحدة عمت جميع مدن العراق، وهذا يدل على عمق الترابط الروحي والعقائدي بين رجال الدين والعلماء خاصةً وإنّهم أكثر الناس إدراكاً لعظم الفكر الذي يحيط بطموحاته الاستعمارية أرض العراق وأهله[٣]. وقد أصدر الشيخ مهدي الخالصي حكمًا شرعياً أوجب فيه على المسلمين التبرع بأموالهم في الجهاد حتى تزول غائلة الكفر ومن امتنع عن بذله وجب أخذه كرها[٤]، هذا بالإضافة الى إصداره رسالة عنونها (السيف البتار في جهاد الكفار) عرض فيها مسألة الجهاد في الإسلام وما يترتب على الأمة الإسلامية للقيام بشروطه

---

(١) الدراجي، عبد الرزاق عبد: جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، بغداد، ١٩٧٨، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ص٤١-٤٢.

(٢) كاظم، عباس محمد: ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، د. مطبعة، د. مكان، ١٩٨٤، ص ٢٨٨.

(٣) الشريفي، احمد باقر علوان: كربلاء بين الحربين العالميتين ١٩١٨- ١٩٣٩، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨.

(٤) الدراجي، عبد الرزاق عبد: جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، بغداد، ١٩٧٨، مصدر سبق ذكره، ص٤٠-٤١.

وقواعده وأركانه[١].

وهكذا توالت الأحداث التي كانت مقدمات الثورة، إذ أصدر الشيخ محمد الشيرازي في آذار/ مارس من عام ١٩٢٠م فتوى حرم فيها الانخراط في الوظائف الحكومية في الدولة، وعلى أساسها عمّت العراق موجة استقالات الموظفين من الحكومة، أربكت الوضع وزادت حالة التوتر والشحن بين المحتلين والشعب العراقي الذي أخذ يغلي منتظراً ساعة الصفر[٢]، التي انطلقت شرارتها من الرميثة في ٢٠/ ٦ / ١٩٢٠م، بعد تحرير شيخ عشيرة الظوالم شعلان أبو الجون[٣] الذي اعتقلته القوات البريطانية بأمر من «هيأت» الحاكم السياسي فيها على إثر إهانة الى شعلان أبو الجون فرد عليه شعلان بأشد منها فأمر هيأت باعتقاله؛ فانطلق أفراد عشيرته في اليوم الثاني فكسروا السجن وحرروه، واقتلعوا أخشاب سكة الحديد المارة بأراضيهم، وفي ١١/ ٧/ ١٩٢٠ هاجم الثوار مخفر أبو شورة في المشخاب فكان ذلك اعلان باندلاع الثورة في الفرات الأوسط، وكان الشيرازي يدعم الثورة مادياً ومعنوياً، لتنطلق شرارة الثورة وتعم مختلف مناطق العراق ومدنه من الجنوب الى الشمال، وبعدها تم تحرير كربلاء في معركة الزارنجية[٤]، وطرد الحاكم البريطاني منها وتأسيس مجالس للثورة وهي[٥]:

---

(١) الرهيمي، عبد الحليم: تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ١٩٠٠-١٩٢٤، ط١، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٦٧.

(٢) الجبوري، كامل سلمان: محمد تقي الشيرازي القائد الأعلى للثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، مصدر سبق ذكره، ص ٩٧.

(٣) الياسري، عبد الشهيد: البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٦، ص١٣٨.

(٤) الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سبق ذكره، ص٢٩٣- ٢٩٤.

(٥) الجبوري، كامل سلمان: محمد تقي الشيرازي القائد الأعلى للثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، مصدر

١. المجلس العلمي: ويشرف على جميع المجالس بالمشورة والأمر والتوجيه وهو بمثابة المجلس السياسي للثورة[١].

٢. المجلس المحلّي: وهو بمثابة المجلس الوطني، وظيفته تولي الإدارة المحلية وتنصيب الموظفين، وجباية الضرائب، وبسط الأمن والإشراف عليه[٢].

٣. المجلس (الحربي) العسكري: وكان من خارج أعضاء المجالس الأخرى ويضم شيوخ العشائر والعسكريين ووظيفته تعيين قادة الثوار، وتوجيه الثوار والمعارك واسنادها بالمؤن والعتاد والمستلزمات الأخرى[٣].

وقد اقتدت النجف والكثير من مدن الجنوب التي تم تحريرها من الاحتلال البريطاني وعملت بهذه المجالس كما الحال في كربلاء[٤].

المحور الثالث: دور المرجعية الدينية في كربلاء في أحداث ثورة العشرين. ووفاة الشيرازي وإنتهاء الثورة.

إنّ التاريخ السياسي للحضرة الحسينية المشرفة تميز بالرفض المستمر للظلم والإستبداد الذي مورس من قبل الحكومات المتعاقبة على العراق، فنجدها تؤدي

سبق ذكره، ص ١٠٦-١٠٧.

(١) آل فرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح، بغداد ١٩٩٥، ص٢٤٧.

(٢) آل فرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها، مصدر سبق ذكره، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٣) مكتب منابع الثقافة الإسلامية: كربلاء المقدسة تفجر ثورة العشرين، الكتاب الخامس، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٨، ص٦١.

(٤) ويسين، ناهدة حسين علي: تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير ١٨٣١- ١٩٢٧، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية (أبن رشد)، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص٤٧.

دورها القيادي المهم في قلب الحدث السياسي في تاريخ العراق المعاصر؛ ذلك إنّ رجال الحركة الوطنية كانوا يستمدون منها ومن قدسية المكان ورمزيته العزم والإصرار؛ لتبقى ثورة الإمام الحسين عليه السلام مشروعاً سياسياً إصلاحياً متواصلاً مع ثورة جده النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله والى يومنا.

كان للشيخ محمد تقي الشيرازي دور قيادي كبير في الثورة، إذ كان يشرف على الخطط العسكرية بنفسه أو يقترح بعضها، فقد أرسل أحد مساعديه المقربين الى الثوار في قرية ألوند التي تقع على طريق (كربلاء- بغداد)، وطلب منهم إرسال مجموعة من الثوار لقطع طريق إمدادات المحتلين بين بغداد والحلة[١]، وكما كانت الرسائل التي يبعثها الى الثوار تتضمن ألغازاً متفق عليها مسبقاً؛ وذلك خوفاً من وقوعها بأيدي البريطانيين أو عملائهم فتنكشف خطط الثوار وتحركاتهم، وكان يتابع أخبار الثورة في المناطق الأخرى، فعندما تقهقر الثوار في الحلة أرسل لهم السيد هبة الدين الشهرستاني[٢] للوقوف على حقيقة الأمر هناك، وفي نفس الوقت أرسل قائد الثوار علوان الياسري رسالة الى الشيخ الشيرازي يشرح فيها الوضع العسكري

---

(١) ويسين، ناهدة حسين علي: تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير ١٨٣١-١٩٢٧، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦.

(٢) السيد هبة الدين الشهرستاني: ولد في سامراء عام ١٨٨٤م، ودرس على يد علمائها، وبعدها توجه الى كربلاء، ثم النجف عام ١٩٠٢ فأكمل فيهما دراسته، واخذ الجانب الإصلاحي في تدريسه، وكان مؤيداً للحركات الإصلاحية ومنها (الدستورية الايرانية ١٩٠٥-١٩٠٦) و(العثمانية= =١٩٠٨-١٩٠٩)، ومن أهم مؤلفاته (الهيئة والاسلام)، تقلد منصب وزير المعارف في حكومة عبد الرحمن النقيب الثانية، وغيرها من المناصب الإدارية، توفي عام ١٩٦٧. للمزيد انظر: (عبد الزهرة، عدي حاتم: السيد هبة الدين الشهرستاني مصلحاً ومجدداً، مجلة جامعة كربلاء، ٢٠٠٤، المجلد ٢، العدد ٦، ص ٢١٥).

للثورة والثوار في الحلة[١].

لقد وصلت فتاوى الشيخ الشيرازي الى المدن الغربية من العراق عن طريق مبعوثه الخاص السيد جدوع أبو زيد، الذي وصل الفلوجة في ٢٣يوليو ١٩٢٠، وإلتقى مع شيخ عشائر الجنابيين خضير العاصي، والذي كانت له اتصالات مسبقة مع قادة الثورة في مناطق الجنوب والوسط، وأصطحب الشيخ خضير مبعوث الشيخ الشيرازي في جولة شملت عشائر البونمر وزوبع والدليم، ثم ألتقى أبو زيد بالشيخ ضاري المحمود شيخ عشيرة زوبع، الذي عندما اطلع على فتوى الشيخ الشيرازي ورسالته إزداد حماسه للثورة وقال: «يشهد الله تعالى على إنني عربي مسلم وقد عاهدته وأنت من الشاهدين (يقصد أبو زيد) على أن أبذل الغالي والنفيس، وكل ما أملك من أجل إنقاذ بلدي من الإنكليز، وليعلم العلماء والزعماء بأنني سوف أقوم بدور يسجله التاريخ ويُرضي الله والناس»[٢]. وكما زار أبو زيد مناطق جنوب بغداد المحمودية واليوسفية في ٢٨ يوليو من نفس العام، ومنطقة عويريج وهو يجتهد في حثّهم على وحدة الصف، والثورة ضد بريطانيا وطرد موظفيها وتخريب طرق مواصلاتها التي تستخدمها في نقل الأسلحة والأعتدة ضد الثوار[٣].

كان الشيخ الشيرازي يتابع أحداث الثورة في عموم العراق بكل تفاصيلها ويمدّها ويدعمها بكل ما أوتي من عزم وقوة؛ فمثلت مواقفه العظيمة أروع دروس الشجاعة والبسالة، وحققت الثورة ثمارها بفضل توجيهاته التي كان يحث الثوار فيها على الدفاع عن المقدسات ومواصلة الجهاد من أجل الحرمات، وقد

(١) آل فرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) آل فرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.

نقلت المصادر الإنكليزية صوراً عديدةً من معارك ثورة العشرين ومنها معركة (الرستمية) التي أوقع فيها الثوار هزيمة منكرة برتل مانجستر فكانت خسائره ٢٠ قتيلا و٦٠ جريحاً و٣١٨ مفقوداً و١٦٠ أسيراً[١].

ويوجز السيد عبد الرزاق الحسني في كتابه وفاة الشيخ ونهاية الثورة بقوله: انتقل الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي الى الرفيق الأعلى في اليوم الثالث من شهر ذي الحجة لسنة ١٢٢٨هـ الموافق ١٣/ ٨/ ١٩٢٠م، أي في اليوم الثاني من إعلان حكومة الإنكليز سياسة الإرهاق[٢] وقبضها على الوطنيين الأحرار من شباب العاصمة فجاءت وفاته في وقت حرج ودقيق جداً؛ إذ كان يمثل القطب الذي حوله تدور رحى رجالات الثورة، وإليه تفزع في الملمات فلا غرو أن وقع خبر وفاته كالصاعقة على الرؤوس وفزعت الناس، وهالها الأمر وخارت النفوس، وكان الارتجاج عظيماً في جميع أرجاء الثورة[٣]. إذن نجد أنّ انتشار خبر وفاة الإمام الشيرازي قد ترك أثراً كبيراً في نفوس الذين كانوا بأمس الحاجة الى وجوده بينهم؛ فكان ذلك من أهم أسباب فشل الثورة، إضافة الى وجود مناصرين للإنكليز في بعض العشائر والقوة غير المتكافئة في الأسلحة والمعدات.

وبعد وفاة الشيخ محمد تقي الشيرازي تم تطويق كربلاء –معقل القائد ومركز

---

(١) العكام، عبد الأمير هادي: الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١– ١٩٣٣، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨.

(٢) سياسة الارهاق: سياسة انتهجتها القوات البريطانية في التعامل مع الثوار خلال ثورة العشرين ١٩٢٠م تقتضي ارهاقهم وضع شتى انواع العراقيل في وجوههم من أجل ارهاقهم وامكانية تشتتهم ومن ثم السيطرة عليهم.

(٣) الحسني. عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى، مصدر سبق ذكره، ص ١٢١.

الثورة-وقُطع عنها الماء عقاباً لها، ويذكر المؤرخ علي الوردي انتقام الإنكليز من المدينة التي قارعتهم وكبدتهم خسائر جسيمة على لسان قائدهم هالدين بقوله: لما كانت كربلاء مسؤولة الى قدر كبير عن قيام الثورة فإني رغبت بالاستيلاء على ناظم الحسينية الذي كان يبعد عن الفرات بمائتي ياردة لكي أجعل سكان البلدة يشعرون بعذاب الحرمان من الماء[1]!. وهكذا كان لكربلاء موعداً آخراً مع الظمأ والعطش، وهي تطرز تاريخها المكلل بالثورات والانتفاضات ضد الظالمين، إذ إنّ التاريخ يعيد نفسه في ظلم ثوار الحق على الباطل والمحتل.

الإمام الشيرازي قائداً ومرجع

لم ينشغل الشيخ محمد تقي الشيرازي بمسؤولية الثورة التي تحتاج منه إمكانيات عظيمة وتفرغ كامل، عن إداء مسؤوليته كمرجع ديني في النظر بأمور الناس وطلبة العلم والدروس، فمثلما كان قطب الثورة ومركزها وقائدها، كان المدرس والمربي لطلبة العلم، والمرجع الذي تحتاجه الناس في تلبية حاجاتهم الدينية والدنيوية.

وهنا يحدثنا السيد شهاب الدين المرعشي النجفي عن المسؤوليات التي كان يضطلع بها الشيخ الشيرازي بقوله: «عندما كانت الثورة العراقية الكبرى مشتعلة، وكان جهاد الشعب العراقي ضد الاحتلال البريطاني على أشده، كان المغفور له الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي بمثابة ثقل هذه الثورة، ومحور الحركة الدينية والدنيوية، وكانت الأنظار كلها متجهة إليه، وكان منشغلا في كل أوقاته بحل وربط قضايا الجهاد والدين، وكان بيته مزدحماً برؤساء العشائر الثائرة ورجالات السياسة والدين، وعلى الرغم من كل ذلك لم ينس أمور طلاب العلم؛ وإنّما كان

(١) الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٢.

يسعى لكي لا تحول هذه الأمور بينه وبينهم، وقد صرح أمامنا نحن الطلاب عن ذلك -كنت في ذلك الوقت أحد طلابه- أيها السادة طلاب العلم الأجلاء ترون بأنفسكم كيف أن رجال العشائر ورجالات السياسة يُحيطون بي ويزدحمون حولي وكيف أن الحرب مع الإنكليز تأخذ كثيراً من أوقاتي فأخاف أنّ واحداً منكم له حاجة معي ولا يمكنه الوصول إليَّ، ولتفادي هذه الحالة فإني سأقوم من الآن فصاعداً بالمشي على شاطئ نهر الحسينية في كربلاء لوحدي بعد صلاة الفجر، فمن أراد منكم الالتقاء بي لقضاء حاجة أو من أجل معضلة علمية فليأتني هناك»[١].

ويتابع السيد المرعشي حديثه قائلاً: «وهكذا فعل ولقد رأيته بنفسي عدة مرات في الصباح الباكر وهو يمشي هناك انتظاراً منه للقاء من له حاجة أو مسألة منه»[٢].

وهكذا نجد أنّ العلاقة الوثيقة بين المؤسسة الدينية والأحداث السياسية التي مرت على العراق والدور القيادي لزعامات المؤسسة الدينية خلال حقبها المختلفة، تُوجت بتولي السيد محمد تقي الشيرازي زعامة المؤسسة الدينية -التي انتقلت به من النجف الى كربلاء بعد وفاة المرجع الأعلى في النجف السيد كاظم اليزدي في ٣٠ أبريل ١٩١٩م- وقد عمل الشيخ على توثيق العلاقة ما بين الزعامة السياسية والزعامة الدينية التي تقود الشعب، وكان موقفه تجاه الاستفتاء البذرة الأولى التي وجهت الأنظار نحو المقاومة ضد الاستعمار البريطاني والتي استمرت حتى وفاته في ٣٠ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ الموافق ١٧ اغسطس ١٩٢٠م.

---

(١) الهيمي، علاء عبد الحسين: حقائق عن المواقف في العراق من الثورة الدستورية الايرانية ١٩٠٥-١٩١١، جامعة الكوفة، كلية التربية، ص ٥-٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦.

تأسيس الجمعيات الوطنية الاسلامية

كانت كربلاء قبيل الثورة عبارة عن جذوة تحت الرماد، وكانت المؤشرات كلها تدل على إنّ الثورة ستندلع منها حتى كتب الحاكم العسكري في الحلة في استعراضه الوضع السياسي في منطقته في التقرير الإداري عام ١٩١٩م قوله: إنّ الاضطراب في مدينة الحلة سببه الدعاية المناوئة للبريطانيين التي كانت تنبعث من كربلاء»، وكما جاء في تقرير الحاكم السياسي في الديوانية عن مناطق السماوة والرميثة والشامية التي كانت النجف من ضمنها بأنّ سبب الحركات التي قامت بها العشائر ضد الإنكليز هو تأثير الدعاية الشريفية الشيعية[١]، (يقصد الفتاوى المناهضة لهم التي أطلقها الميرزا محمد تقي الشيرازي).

ولقد نُظمت في النجف العديد من الندوات التي كانت تدار من قبل رجال دين بارزين ومن المثقفين أمثال جواد الجزائري وعبد الكريم الجزائري ومحمد رضا ومحمد باقر الشبيبي، وناقشت القضايا السياسية والدينية، وكان لها أبلغ الأثر في تأسيس جمعية النهضة الإسلامية السرية في نوفمبر/ ١٩١٧م من جهة، ومن جهة أخرى ساهمت هذه الندوات في التعجيل لقدوم السيد محمد تقي الشيرازي من سامراء الى النجف ومن ثم الى كربلاء حيث استقر فيها، وقد تم ذلك بناءً على مشاورات ومناشدات أعضاء مجالس الندوات السابقة بحصر الزعامة الروحية بالشيخ محمد تقي الشيرازي، بعد إن تبين لهم أنّ السيد كاظم اليزدي غير مؤيد للثورة[٢].

---

(١) صاغية، حازم: صراع السلام والبترول في إيران، ط١، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٨، ص ٨٥-٨٦.

(٢) الرهيمي، عبد الحليم: تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ١٩٠٠ -١٩٢٤، مصدر سبق ذكره،

ثم تبع ذلك ظهور بعض الجمعيات السرية مثل «الجمعية الإسلامية» التي ترأسها السيد محمد رضا نجل الإمام محمد تقي الشيرازي، وضمت العديد من الوطنيين ورجال الدين من أمثال السيد هبة الدين الشهرستاني والسيد حسين القزويني وعبد الكريم العواد وعمر العلوان وعثمان العلوان وطليفح الحسون وعبد المهدي القمبر ومحمد أبو الحب وغيرهم من الزعامات الدينية والوطنية[١]. و«الجمعية الوطنية الإسلامية» التي ضمت عبد الحسين المندلاوي ومهدي الموسوي ويحيى الزرندي وغيرهم، وقد اتخذت هاتان الجمعيتان من المناسبات الدينية فرصة لتوعية وتعريف الناس بما يحاك ضدهم[٢]. وعلى غرار هذه الجمعيات تأسست «جمعية النهضة الإسلامية» في النجف الأشرف، وضمت شخصيات وطنية كثيرة منها: السيد محمد علي بحر العلوم والسيد محمد جواد الجزائري والشيخ عباس الخليلي والشيخ محمد الدمشقي والسيد ابراهيم البهبهاني وعباس الرماحي وكاظم الخليلي وحسين الصراف ومحمد شليلة[٣]. وتأسست في بغداد «جمعية حرس الإستقلال» وضمت السيد محمد الصدر والشيخ يوسف السويدي والشيخ محمد باقر الشبيبي وجعفر أبو ألتمن وغيرهم، وفي الكاظمية فقد أسَّس السيد أبو القاسم الكاشاني وبتوجيه من شيخ الشريعة الأصفهاني «الجمعية الإسلامية» وقد نالت كل هذه

ص ١٩٠-١٩١.

(١) كاظم، عباس محمد: ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٣.

(٢) الشريفي، احمد باقر علوان: كربلاء بين الحربين العالميتين ١٩١٨- ١٩٣٩، مصدر سبق ذكره، ص٤٥.

(٣) كاظم، عباس محمد: ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٤-٢٤٥.

الجمعيات تأييد ودعم وتوجيه الشيخ الشيرازي[١].

وكانت أكثر هذه الجمعيات نشاطاً هي «الجمعية الوطنية» في كربلاء، حيث كانت تتمتع بالقوة والفعالية والجرأة في مواجهة المحتل، الأمر الذي دفع الإنكليز الى اعتقال عدد من أعضائها في ١ يوليو ١٩١٩م، والذين كان منهم عمر العلوان وعبد الكريم العواد وطليفح الحسون ومحمد علي أبو الحب والسيد محمد مهدي المولوي والسيد محمد علي الطباطبائي، فأرسل الشيخ محمد تقي الشيرازي رسالة الى القائد البريطاني ولسن[٢] يطلب منه إخلاء سبيلهم، فليس هناك سبباً يدعو الى اعتقال أُناس كل ما فعلوه هو أنهم طالبوا بحقوقهم المشروعة وبالطريقة السلمية، أما رد ولسن على الرسالة فكان مراوغاً مما أثار حفيظة الشيخ الشيرازي الذي صمم على السفر الى ايران لإعلان الجهاد ضد الإنكليز رداً على استهانة الإنكليز بكرامة ومشاعر العراقيين[٣]. وقد أشعل قراره بإعلان الجهاد روح الثورة في نفوس العراقيين، فبمجرد أن سمعوا به وتداولته الأوساط؛ حتى بدأت رسائل التأييد تنهال على الشيخ الشيرازي من الكاظمية والنجف، وكان منها رسائل من السادة سعيد وحسين كمال الدين ومحمد باقر الشبيبي ومحمد الشيخ يوسف وعبد الرضا

---

(١) زميزم، سعيد رشيد: لمحات تاريخية عن كربلاء، مطبعة الجاحظ، بغداد، ١٩٩٠، ص ٤٣.

(٢) أرنولد ولسن: سياسي وعسكري بريطاني قدم ضمن الحملة العسكرية البريطانية على العراق سنة ١٩١٤م بقيادة السير برسي كوكس، تم تعيينه حاماً عاماً على العراق بعد تعيين برسي كوكس سفيراً لبريطانيا في طهران، قتل في الحرب العالمية الثانية خلال خدمته في القوة الجوية البريطانية سنة ١٩٤٠. للمزيد انظر: (قزانجي، فؤاد: العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥ – ١٩٣٠، بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٦.

(٣) العطية، غسان: العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، ترجمة عطا عبد الوهاب، لندن، دار الإعلام، ١٩٨٩، ص ٢٣٥.

السوداني والسيد أحمد الصافي والسيد سعد جريو، ولما سمع بها ولسن تدارك الأمر وأطلق سراح المعتقلين، وأعاد من تم نفيه منهم، وبعث بمبلغ من المال بيد محمد حسين خان الكابولي[١] الى محمد تقي الشيرازي إلا إنه رفضه وأرجعه، فاعتبر ولسن ذلك تهدئة للوضع المتأزم، بينما اعتبره الوطنيون انتصاراً[٢].

الخاتمة

من خلال دراسة تاريخ كربلاء ممثلاً بالدور السياسي والديني للحضرة الحسينية المشرفة توصلت الدراسة الى ما يلي:

١. إنّ الحضرة الحسينية المشرفة لها أهميتها الخاصة ومكانتها المتميزة بين المراقد المقدسة وكان لها الدور الديني والسياسي المهم ولأساسي في تاريخ العراق الحديث، واستطاعت أن تكون في قلب الحدث السياسي، وأن تؤدي الدور القيادي في تاريخ العراق المعاصر.
٢. لعبت الحضرة الحسينية المشرفة ممثلة بالمرجعية الدينية، دوراً بارزاً خلال سنوات الاحتلال البريطاني وما قبله، فقد كان لفتاوي علماء الدين فيها الأثر الكبير في تهيئة أبناء الشعب العراقي وتعبئتهم ضد قوات الاحتلال والرفض المستمر للوجود الأجنبي على أرض العراق.
٣. إنّ امتزاج الشعور الديني مع الشعور الوطني والقومي ووجود الزعامات الدينية والعشائرية ورجال الحركة الوطنية دفع باستغلال المناسبات الدينية

---

(١) محمد حسين خان الكابولي: المبعوث الخاص للحاكم البريطاني في العراق ارنولد ولس، وكان معتمده وسفيره الى الشخصيات ومراجع الدين خلال أحداث ومقدمات ثورة العشرين.

(٢) الشريفي، احمد باقر علوان: كربلاء بين الحربين العالميتين ١٩١٨-١٩٣٩، مصدر سبق ذكره، ص٥٠.

التي تحييها المدينة لعقد المؤتمرات والاجتماعات وإثارة الرأي العام وتوجيهه؛ للوقوف بوجه سياسة الاحتلال التي لا تتوافق مع مصالح الشعب العراقي المسلم.

٤. إنّ أول من زرع بذور الفتنة والتقسيم في العراق هو الاحتلال البريطاني، وفي أشكال عنصرية مشتتة لأهل العراق مثل دعوته لإنشاء إقليم المدن العلوية المقدسة.

٥. كانت مدينة كربلاء خلال ثورة العشرين مركز الحركة الوطنية لجميع مدن العراق الأوسط والجنوب، يتجمعون فيها ويلتقون برجال الدين ويأخذون منهم المشورة في الأمور كلها.

قائمة المراجع والمصادر:

١. آل فرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح، بغداد ١٩٩٥.

٢. التونجي، محمد: المعجم الذهبي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩.

٣. الجبوري، كامل سلمان: محمد تقي الشيرازي القائد الأعلى للثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، ط١، دار منشورات ذوي القربى، كربلاء، ٢٠٠٠.

٤. جبار، آلاء عبد الكاظم: موقف الفئة المثقفة في حركة كربلاء من التطورات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢، كربلاء، ٢٠٠٨.

٥. حرز الديم، محمد: معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، ج٣، قم، مطبعة الولاية، ١٩٨٤.

٦. الحسني. عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى، ط٤، بيروت، ١٩٧٨.

٧. الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٦، بيروت، ١٩٥٦.

٨. الدجيلي، جعفر: موسوعة النجف الاشرف، المراجع، ج١١، بيروت، دار الأضواء، ١٩٩٨.

٩. الدراجي، عبد الرزاق عبد: جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، بغداد، ١٩٧٨، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب.

١٠. الرهيمي، عبد الحليم: تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ١٩٠٠-١٩٢٤، ط١، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥.

١١. الزبيدي، محمد حسين: مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٩.

١٢. زميزم، سعيد رشيد: لمحات تاريخية عن كربلاء، مطبعة الجاحظ، بغداد، ١٩٩٠.

١٣. شبّر، حسن: تاريخ العراق السياسي المعاصر، ج٢، بيروت، دار المنتدى للنشر، ١٩٩٠.

١٤. الشريفي، احمد باقر علوان: كربلاء بين الحربين العالميتين ١٩١٨-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠٤.

١٥. صاغية، حازم: صراع الإسلام والبترول في ايران، ط ١، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٨.

١٦. عبد الزهرة، عدي حاتم: النجف الاشرف وحركة التيار الإصلاحي، بيروت، ٢٠٠٥.

١٧. الطعمة، سلمان هادي: تراث كربلاء، بيروت، ١٩٨٣.

١٨. عبد الزهرة، عدي حاتم: السيد هبة الدين الشهرستاني مصلحاً ومجدداً، مجلة جامعة كربلاء، المجلد ٢، العدد ٦، ٢٠٠٤.

١٩. العطية، غسان: العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، ترجمة عطا عبد الوهاب، لندن، دار الإعلام، ١٩٨٩.

٢٠. العكام، عبد الأمير هادي: الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ - ١٩٣٣، النجف، مطبعة الآداب، ١٩٧٥.

٢١. العمر، فاروق صالح: الأحزاب السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٣٢، بغداد، ١٩٧٨.

٢٢. كاظم، عباس محمد: ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، د. مطبعة، د. مكان، ١٩٨٤.

٢٣. كبة، محمد مهدي: مذكراتي في صميم الأحداث ١٩١٨- ١٩٥٨، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٥.

٢٤. مكتب منابع الثقافة الإسلامية: كربلاء المقدسة تفجر ثورة العشرين، الكتاب الخامس، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٨.

٢٥. الموسوي، مصطفى عباس: العوامل التاريخية في نشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٢.

٢٦. النفيسي، عبد الله: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، ترجمة دار النهار، بيروت، ١٩٧٣.

٢٧. الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، قم، اصدارات الشريف الرضي، ١٤١٣هـ، ج ٥، القسم الأول.

٢٨. ويسين، ناهدة حسين علي: تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير ١٨٣١-١٩٢٧، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية (أبن رشد)، جامعة بغداد، ١٩٩٩.

٢٩. الهيمي، علاء عبد الحسين: حقائق عن المواقف في العراق من الثورة الدستورية الايرانية ١٩٠٥-١٩١١، جامعة الكوفة، كلية التربية بنات، مطبوعة بالرونيو.

٣٠. الياسري، عبد الشهيد: البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٦.